

اليقظة في تعلم اللغات، آلية لتدبير التعدد اللغوي داخل الفصل.

الدكتوراه: إيمان عبد الله جغدول

بمعهد التعريب، جامعة محمد الخامس، الرباط - المغرب

ملخص الدراسة:

يعد التعدد اللغوي من بين أهم القضايا اللغوية التي باتت تعنى بالدراسة والتمحيص من قبل اللسانيين والسوسيولسانيين، والديداكتيكيين أيضا، وذلك نظرا لما يطرحه من إشكالات تمتد انعكاساتها إلى حقل تعليم وتعلم اللغات. الشيء الذي دفع بمجموعة من الباحثين إلى اقتراح مجموعة من المقاربات التي من شأنها أن تتعامل مع موضوع التعدد بنوع من الحياد والموضوعية دون الانحياز للغة دون أخرى. ولعل مقارنة اليقظة في تصورها وإيمانها بوظيفية اللغات وتكاملها تتماشى وهذا الطرح، وذلك باقتراحها لمجموعة من الأنشطة الديداكتيكية التي تحاول من خلالها تدبير التعدد اللغوي من جهة، وجعله عاملا مساعدا في الولوج إلى لغات أخرى من جهة ثانية، وهو ما سنحاول تبيانته من خلال نموذج تعليم اللغة العربية، في وسط تسوده الدواجر، واللغة الأمازيغية بالمغرب.

Abstract

plurilingualism is one of the most important linguistic issues that are concerned with study and scrutiny by linguists, socioclanes and didactics, because of the problems that it raises to the field of teaching and learning languages. Which led a group of researchers to propose a set of approaches that would deal with the subject of pluralism with a kind of neutrality and objectivity without prejudice to language without others. Perhaps the approach of **AWARENESS LANGUAGE** in its perception and belief in the functionality and integration of languages is in line with this proposition, by proposing a set of interdisciplinary activities in which it attempts to manage multilingualism on the one hand and to make it a catalyst for access to other languages on the other. This is what we will try to demonstrate through the language education model Arabic, in the midst of the turbulent and Amazigh language in Morocco.

سياق الدراسة وتساؤلاتها

تأتي هذه الدراسة في سياق التعريف بمقاربة اليقظة باعتبارها من أهم المقاربات المتعددة اللغات والثقافات التي يقترحها الإطار المرجعي الأوروبي. وهي مقاربات تندرج في عموميتها ضمن ديداكتيك التعدد اللغوي كحقل نظري وتطبيقي تنتظم على غرار، و"كتوجه يراعي البعد السوسiolساني والبعد النفس اللساني، والبعد اليداكتيكي، الذي يتأثر بالبعدين السالفين في تصميم محتوى المقاطع اليداكتيكية وتسلسلها، وكيفيات تمريرها وفهم دوافع المتعلمين، وتمثلاتهم للغة وتحفيزهم على الإقبال على تعلمها"¹.

فبعدما أن اعتدنا أن يتناول موضوع التعدد اللغوي كعامل معرقل في تدريس اللغات عموماً، نلاحظ أن مقاربة اليقظة تدعو إلى إعادة النظر في فهمنا له، عن طريق بسط وتقديم أنشطة ديداكتيكية جادة ومعقنة تدبر هذا التعدد و تتمنه، وتجعله فاعلاً في تيسير العملية التعليمية ككل.

ومن ثمة فإننا نتوخى من هذه الدراسة الإجابة عن مجموعة من التساؤلات، أبرزها:

- ما اليقظة في تعلم اللغات، و بم ارتبط ظهورها المؤسساتي؟

- ما هي الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها؟

- كيف لمقاربة اليقظة أن تدبر التعدد اللغوي، داخل فصل دراسي ما؟

- الإطار المفاهيمي: مقاربة اليقظة، التعدد اللغوي...

1. مفهوم مقاربة اليقظة

1.1 مفهوم المقاربة

تعتبر المقاربة من بين المفاهيم التي عرفت اهتماماً كبيراً من طرف الباحثين البيداغوجيين. سيما أننا نجد الكثير ممن يلتبس عليه هذا المفهوم مع مفهوم الطريقة ومفاهيم أخرى: منهاج، منهج... فيعرف المقاربة بالمنهج والمنهج بالطريقة.. الخ

¹ الخلوفاي، فاطمة. 2015. أثر المقارنة بين اللغات في بناء كفاية متعددة اللغات والثقافات، ص33، منشورات التدريس، الرباط.

يعرف (ANTHONY.1963) المقاربة على أنها مجموعة من الفرضيات و المسلمات الفكرية المتعلقة بتدريس لغة ما². ويعرفانها كذلك Richards و Rogers' 1982 على أنها مجموع الافتراضات أو المعتقدات التي نملكها اتجاه تعليم وتعلم لغة معينة³.

وعليه وانطلاقا مما تقدم من التعاريف نتوصل إلى أن المقاربة هي مجموعة من الفرضيات والتصورات التي قد تتبنى في تعليم وتعلم لغة ما. وهي عادة تكون مفتوحة على التأويلات ولهذا فهي بذلك تظل نسبية.

2.1 مفهوم اليقظة في تعلم اللغات

ارتبط مفهوم اليقظة في تعلم اللغات في السابق بحركة الوعي اللغوي التي مهد لها هاوكينز Hawkins في الولايات المتحدة خلال الثمانينيات، نظرا لكونها أكثر المقاربات تشجيعا على استعمال اللغات المكتسبة، لاسيما لغات البيت، أو لغات المحيط الاجتماعي، في تعلم لغات المدرسة. إنها تسعى أساسا إلى تيسير تعلم لغات المدرسة وذلك باعتماد اللغات المكتسبة كوسائط لغوية مساعدة.

إن هذه المقاربة تنظر إلى التعدد والتنوع اللغويين من وجهة نظر إيجابية، إذا ما تم تدبيرهما وفق مقاربة لسانية وبيداغوجية رصينة تضمن التعلم الإيجابي للغات، وتبتعد بالمتعلم عن الوقوع في نوع من الارتباك اللغوي كما يسميه هاوكينز.

ويعرف مشيل كوندولي هذه المقاربة على أنها: "الاشتغال المكثف والآني على عدة لغات، في الوقت نفسه قصد ملاحظتها والمقارنة فيما بينها"⁴. ومن ثمة فهذه المقاربة تهدف أساسا لتطوير ملكة النقد والتحليل والمقارنة بين اللغات لدى المتعلمين، بهدف تيسير تعلماتهم. وعليه فمن بين المخرجات المراهن على تحققها عند المتعلمين عن طريق هذه اعتماد هذه المقاربة نذكر ثلاث أنواع:

- معارف لسانية.

- معارف سوسيولسانية.

² Anthony,edwards.1963.approche, méthode, end tichnique english langue teatching.london

³ University of stif2.2013.Teaching English as a Foreign Language, London.

⁴ انظر الإطار المرجع الأوروبي المتعدد اللغات والثقافات، ص14.

- معارف ذريعية تتعلق بسياق استعمال واستثمار اللغة الأم في تعلم لغات المدرسة .

وقد تم تطبيق هذه المقاربة على نحو ستة عشر دولة أوروبية من قبل المجلس الأوروبي للبحث العلمي، الذين أكدوا أن فعالية هذه المقاربة ليس على مستوى تحقيق الأهداف المسطرة فحسب، وإنما على مستوى تبني وضعيات سوسيولسانية ومدرسية متغيرة.

. 3.1 الظهور المؤسستي للمقاربة:

عرف الظهور المؤسستي للمقاربة داخل الأوساط المدرسية خاصة، والتربوي عامة عدة مقاومات، من جهات مختلفة⁵:

- الإرادة السياسية الهادفة لترسيخ لغة دون أخرى.

- الطلب الملح من قبل الآباء لتعليم أبنائهم اللغة الانجليزية، باعتبار لغة العالم...

- التركيز على ما يسمى باللغة الوطنية، وربط اللغة بالهوية.

أما فيما يخص الصعوبات الأولية، التي واجهت هذه المقاربة فيمكن حصرها في ما يأتي:

- المعيق الديدانتيكي:

وهي معيقات تكمن أساسا في غياب وسائل ومواد ملائمة لخصوصية المقاربة في المرحلة الأولى من تنفيذ المقاربة.

- تكوين مدرسين، واطلاعهم على الأبعاد السوسيولسانية للمقاربة.

- المعيق الزمني:

باعتبار أن تطبيق هذه المقاربة في البداية كان يحتاج لوقت محدد، قصد رصد مدى تحقق أهدافها، ومدى إمكانية تفعيلها في الوسط المدرسي.

- معيق لغوي/ثقافي:

⁵ Candelier, Michel. 2009. L'éveil aux langues, université de maine, le mans, france

يمتد أثر هذا المعيق إلى المعيق الديدانكتيكي المذكور سلفا، حيث أن التحكم في التنوعات اللغوية والثقافية المهيمنة داخل حجرات الدرس، لم يكن أمرا سهلا، سيما على مستوى التفكير في الأنشطة الديدانكتيكية القادرة على استيعاب هذا الكم الهائل من التنوعات .

- صراع الأفكار و الإيديولوجيات وتقبل فكرة التنوع اللغوي من قبل الآباء، والمجتمع التربوي كافة.

2. أهداف المقاربة:

تستمد هذه المقاربة جدتها انطلاقا من مجموع الأهداف التي ترمي إلى تحقيقها⁶:

- تطوير تمثلات وانطباعات ايجابية لديهم إزاء الانفتاح على التنوعات اللغوية والثقافية.

- تحفيزهم على تعلم اللغات.

- تطوير معارفهم الميطالغوية و الميطاتواصلية.

- تقوية ما يسمى بالثقافة اللسانية لديهم : الربط بين اللغات، والاطلاع على نقاط الائتلاف والاختلاف فيما بينهم.

- إيجاد ما يسمى بالمنطق اللغوي في تعلم أي لغة جديدة.

- تقبل فكرة : أن اللغات أساسها التواصل، و لا لأفضلية لواحدة على حساب أخرى.

- فهم اللغة في تنوعات استعمالها.

3. بعض الأنشطة الديدانكتيكية للمقاربة:

إن الحديث عن المقاربة من الناحية النظرية، لا يعدو أن يكون سوى جرد لبعض التمثلات التي قد تكون دون جدوى مادامت لم تجرب داخل فصول دراسية وضمن وضعيات مشكلة معينة. وقد تعرض كوندولي في كتابه " اليقظة في تعلم اللغات" لنشاطين ديدانكتيكيين⁷ مختلفين، يشرح فيهما آليات تفعيلها.

النشاط الأول:

⁶ . L'éveil aux langues, p5

⁷ L'éveil aux langues, p.4

تم تطبيق هذا النشاط التعليمي على تلامذة جزيرة Eure الفرنسية، الذين تتراوح أعمارهم بين 3 و 4 سنوات. يقول مشيل كوندولي: "في هذا القسم اشتغلنا ما يزيد عن سنة ضمن أنشطة الإطار الأوروبي، بواسطة وسائل ديداكتيكية متنوعة". ضمن هذا النشاط تم تقسيم التلاميذ إلى مجموعات، كل مجموعة تتكون من ثلاث تلاميذ أو أربع. والمدرسة توزع عليهم بطاقات من ورق تحمل ورودا، كل ورده تتألف من ثمان وريقات، وكل بطاقة تحمل اسم لغة معينة: 3 لغات من أصل سلافي، و أخرى ذات أصل جرمانى، وأخرى من أصل لاتيني، وفي الوريقات الثمانية من كل ورده كتبت الأرقام من واحد إلى ثمانية باللغات المذكورة سلفا. ومن ثمة فالمطلوب من المتعلمين هو تصنيف اللغات إلى مجموعاتها الصحيحة عن طريق مقارنة بين اللغات، ورصد أوجه التشابه و أوجه الاختلاف، بعد ذلك تعرض كل مجموعة النتائج المتوصل إليها، و تدافع عن المنطق اللغوي الذي اعتمدته في التصنيف.

النشاط الثاني:

يستمتع التلاميذ لقصة القبعة الحمراء، مترجمة لأربع لغات مختلفة، وأمام أعينهم يمثل عنوان القصة مترجما أيضا للغات الأربع ، والمطلوب منهم هو ربط كل عنوان بالقصة المناسبة وذلك على أساس التشابه من حيث اللغة.

إن الغرض الأساسي من هذا النشاط هو تقوية ملكة الملاحظة والمقارنة والتحليل عند المتعلمين، وهو ما سيؤدي إلى ما سماه كراشن بالتعلم الذاتي، أي أن المتعلم يبني معارفه اللغوية بشكل تلقائي وغير واع، تماما مثل اكتسابه للغة الأم الذي يتم أيضا بطريقة تغيب فيها القصدية.

4. مقارنة اليقظة كآلية لتدبير التعدد اللغوي

1.4. مفهوم التعدد اللغوي

عرف مصطلح التعدد اللغوي تحديداً متنوعة من قبل علماء اللسانيات الاجتماعية، ومحط "هذا الاختلاف راجع أساساً إلى معيار الكفاءة التي يجب أن تتوفر لدى الفرد حتى يعتبر أنه من متعددي اللغة"⁸. فذهب البعض منهم إلى أن الكفاية شرط أساسي لتوفر التعددية اللغوية لدى الأشخاص، و خير مثال على ذلك، ما توجه إليه بلوم فيلدا في طرحه. ومنهم أيضاً من اكتفى بجعل القدرة على التلفظ

اللغة واللهجة، ص 247.⁸

بالكلمات وفهم النصوص كمرادف للتعدد، هنا حيث تكون المعرفة باللغة "معرفة سلبية"⁹ وسطحية. وقد اقترحت مايرز سكوتن تعريفا يؤلف بين الاثنتين بعدما عرفا انتقادا لاذعا من قبل اللسانيين: على اعتبار أن التعريف الأول تعريف صارم يقصي الذين يعتمدون أكثر من لغة في الاستعمال اليومي من دائرة التعدد، والتعريف الثاني هو تعريف مرن تتسع فيه دائرة المتعددين اللغويين.

تقول مايرز سكوتن "التعدد هو"القدرة الكافية على استعمال لغتين أو أكثر في حوار يومي بسيط"¹⁰. وهو على ما يبدو تعريف وسط بين التعريفين السابقين.

2.4 آليات تفعيل المقاربة لتدبير التعدد اللغوي

يقترح الإطار الأوروبي المتعدد اللغات والثقافات مجموعة من الآليات لتفعيل هذه المقاربة:

آلية اللغة المرجع: المقصود باللغة المرجع، اللغة الأم التي يتم الرجوع إليها غالبا قبل بناء أي معرفة لغوية جديدة.

- آلية التوسط: التي تؤسس كل الترابطات الملموسة بين اللغات، والثقافات .

- آلية التكيف: المتمثلة في استدعاء جميع المعارف السابقة المتوفرة عليها من قبل المتعلم، ومحاولة تكيفها مع المعارف الجديدة، قصد تيسير التوجه نحو ما هو آخر مختلف. وهذه الآلية تحقق لنا ما يسمى بالكفاية الاستراتيجية.

آلية المبادعة: التي تمكن بالاستناد على موارد متنوعة، وفي وضعيات مختلفة من تبني سلوك نقدي ومقارناتي بين اللغات التي يعرفها مسبقا وتلك التي سيطلع عليها، مع الحفاظ على ما أسماه كراشن بعنصر المراقبة، و أن لا ينغمس الفرد كليا في التعلم.

آلية التحليل والنقد: وهي آلية تفعل بشدة، عند تفعيل المتعلم لآلية المبادعة واكتشافه أوجه الاختلاف بين اللغات التي يعرفها، وتلك التي يجهلها.

3.4 نماذج تفعيل هذه الآليات ضمن بعض الأنشطة الديدانكتيكية المقترحة:

اللغة واللهجة، ص 247⁹

10 نفسه، ص 275

النشاط الديدانكتيكي الأول: المتمثل في لعبة الصور: والمطلوب هنا من المتعلمين هو كتابة اسم الشيء البارز في الصورة عبر ثلاث مستويات لغوية (الدارجة، والأمازيغية، العربية الفصحى). في هذا النشاط سيتم تفعيل آلية المبادعة، والتحليل والنقد، حيث سيكتشف المتعلم ماتشبهه فيه لغته الأم مع لغات المدرسة، وما تختلف فيه عنها.

النشاط الثاني: لعبة الأمثال الشعبية، حيث سنحاول أن نورد مجموعة من الأمثلة الشعبية المترادفة فيما بينها، بثلاث تنويعات لغوية، الأمازيغية السوسية، والدارجة المغربية، واللغة العربية الفصحى. عن طريق هذا النشاط سيتم تفعيل كل من آلية التوسط والتكيف اللذان يعدان من أهم آليات تفعيل هذه المقاربة.

النشاط الثالث: نقل نصوص من اللغة الأمازيغية السوسية، أو الدارجة، إلى العربية الفصحى. الهدف من هذا النشاط هو تفعيل كل الآليات التي تم التحدث عنها سلفاً، لاسيما آلية اللغة المرجع التي ستكرس كل من آلية التكيف والتوسط وأيضاً المبادعة، مما سيساعد المتعلمين على صياغة نصوص سليمة، بطريقة سهلة ومرنة.

خلاصات

- تأسيساً على ماسبق، يمكن القول إن مقارنة اليقظة في تعلم اللغات تقوم على مجموعة من المبادئ:
- النظر إلى اللغات في بعدها الوظيفي التواصلية، دون اعتماد الأحادية اللغوية الغير الموضوعية.
 - استثمار وضعية التعدد اللغوي في خلق نوع من الوعي اللغوي عند المتعلمين، وذلك عن طريق مقارنته بين اللغات.
 - اعتماد ما يسميه هاوكينز بالمنطق اللغوي¹¹ في تدبير التعدد اللغوي، و الذي يتجلى من خلال كشف المتعلم عن أوجه الائتلاف والاختلاف بين اللغات المتمكن منها، وتلك المقبل على تعلمها.

¹¹Hawkins, Eric. Foreign language study and language awareness, language awareness, university of york, 1999.

لائحة المراجع

الإطار المرجعي الأوروبي للمقاربات المتعددة اللغات والثقافات. 2012. المجلس الأوروبي، النمسا.

الخلوفي، فاطمة. 2015. أثر المقارنة بين اللغات في بناء كفاية متعددة اللغات والثقافات، منشورات التدريس، الرباط.
الشارفي، أحمد. 2017. اللغة واللهجة، ج1، مطبعة الرباط نت، الرباط.

Anthony, edwards.1963.approche, méthode, end technique English langue teaching, London

Candelier, Michel. 2009. L'éveil aux langues, université de Maine, le mans, France.

Hawkins, Eric. **Foreign language study and language awareness**, language awareness, university of york, 1999.

University of stif. 2013. Teaching English as a Foreign Language, London.